الأمثلة النحوية

الدكتور هادي الحمداني

المثل النحوي[1] الذي يضربه النحاة في كتبهم لتقريب القاعدةالنحوية الى اذهان الدارسين مثل رشيق لازيادة فيه ولا نقصان ولاقصر فيه ولا طول فأن ارادوا الفعل جاؤوا بالفعل وحده وان ارادوا الاسم جاؤوا بالاسم وحده وحتى ان ارادوا الحرف جاؤوا به وحده رغم عدم دلالته الا مع غيره • والجملة الفعلية عندهم لا تتعدى الفعل والفاعل ان ارادوا المعلوم ، والفعل ونائب الفاعل اذا ارادوا المجهول ، وكذلك الجملة الاسمية ليس أكثر من مبتدأ وخبر لا يتعديان لفظتين اثنتين مجموع احرفهما ستة او سبعة في اغلب الاحيان ، ولا تأتي الفضلة عندهم الا اذا اقتضاها المثل فالظرف ان ارادوا الظرف والجار والمجرور أن اقتضى ذلك وكذلك الشأن في الحال والتمييز المفاعيل وغيرها •

والمثل النحوي مع قصره جاف ليس فيه من الناحية الفنية نصيب فلاتجد فيه أية طلاوة او خيال او صورة[2] لان النحوي لايريد أن يبتعد ذهن الدارس عن فهم القاعدة النحوية بل هو يشده دائما اليها فليس المثل

---

(١) ان الحديث عن المثل النحوي هنا لا يتناول الايات القرآنية ولا الاحاديث النبوية ، كما أنه لا يتناول الشواهد ولا الشعر •

(٢) يخالف النحويين في هذا خلف الاحمر فهو في امثلته بعيد عن هذا الجو التقليدي ولا شك أن هذا منسجم مع الروح الجديدة التي ابتدعها في تاليف كتابه « مقدمة في النحو » فمن امثلته : صوتا حسنا ، كتابا جميلا ، شرابا ماتعا •• الخ • (ص ٤٢) •

عنده اكثر من تكملة لتعريف او تتمة لقاعدة ولابد أن يكون المثل النحوي منسجما مع صلابة علم النحو وجفافه .

يعتبر « كتاب » سيبويه اول من ثبت هذا القالب المتوارث في المثل النحوي وقد تداولته أغلب كتب النحو ان لم يكن جميعها على غراره فظل « زيد » و « عمرو » وما بينهما من ضرب وقتل هو المعتمد الاول والاساس في كل ما نقرأ فيها ، وظل « رجل » و « فرس » وغيرهما تطارد هنا وهناك بين كل كتاب وآخر حتى ان طلاب النحو ودارسيه ملوا كل هذا التكرار وسئموا اعادته .

أول ما يبرزلنا من الاعلام في امثلة النحاة « زيد »[٣] وكذلك «عمرو» ولاشك ان اختيارهم للعلم الاول « زيد » اختيار ذكي وجيد فهو اسم ثلاثي معرب منصرف سهل خفيف ساكن الوسط فيه اجمل ما في الاسماء العربية من جرس موسيقي بديع ولذلك أحبه النحاة واوردوه كثيرا ومع حبهم كان عندهم هو الضارب غالبا[٤] وهو القاتل وهو الذى يصول ويجول دون أن يجسر أي علم آخر على ضربه او قتله . اما الاسم الثاني «عمرو» فاختياره غير موفق لما فيه من مشكلة نحوية ومشكلة املائية تحمل طلبتنا ثقلهما بمرارة أليمة ، وهو مع ذلك جبان منهزم في أغلب مواقفه مع « زيد » .

وتظهر لنا بعد هذين الاسمين أسماء اخرى اقل استعمالا منهماولعل اسم « خالد » اول اسم رباعي يظهر لنا في كتب النحاة استعمله سيبويه وكثر ذكره عند المبرد[٥] . ويظهر اسم « بشر » غريبا عند سيبويه ولكن

---

(٣) زيد مصدر زاد يزيد زيدا وزيادة .

(٤) يصطدم الباحث بامثلة ليست قليلة يكون فيها زيد هو المضروب او المقتول ، بل ان ابن يعيش يعتبر زيدا شر الناس « المفصل ـ الطباعة المنيرية بمصر ١/١٢٥ » .

(٥) كتاب المقتضب ـ تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ٢/٤٤ .

هذه الغرابة تزول اذا ما عرفنا ان كنية الرجل « ابو بشر » ثم يأتي «بكر» ويرد « عبدالله » من الاسماء المركبة كثيرا .

أما من اعلام الاناث فتبرز « زينب » و « فاطمة » و « هند » وقد لا تجد غير هذه الاسماء كثيرا . وعلى ذكر المرأة هنا أود أن اشير الى أن نصيب المرأة من امثلة النحاة قليل جدا وهي لاتأتي الا في سبيل الحاجة الى امثلة المؤنث وما يتعلق به من متفرعات « نعمت المرأة » و «بئست الجارة» في الحديث عن « نعم وبئس » و « تفعلين » عند الحديث عن الافعال الخمسة ، وكذلك في الممنوع من الصرف . وفي هذه القلة من الامثلة لانجد أي تعاطف أواحترام لها فقد ورد منها « الرجل افضل من المرأة »[٦] و « والله لا اتزوج النساء »[٧] وغيرهما .

وكما كثر استعمال الاسم « زيد » كثر استعمال الفعل « فَعَلَ » ومشتقاته وهو الفعل المقيس في الميزان الصرفي وكذلك في صوغ «الافعال الخمسة » وهو لا يعطي معنى « فَعَلَ » التي بمعنى « عمل » وانما مجرد رمز لا دلالة له . ويَرد كثيرا استعمال « ضرب ، قتل ومشتقاتهما » والضرب والقتل من صميم الخلق العربي آنذاك ، فالرجل العربي كان غازيا ومحارباً ومقاتلا عنيدا . ولا يقتصر الضرب في امثلتهم على زيد وعمرو وانما يتعداه الى كل الناس كبيرهم وصغيرهم ففي الوقت الذي يقع على الأب في مثل قولهم : من ضرب اباك ؟ اخاك ؟ امك ؟[٨] يقع على الجواري والعبيد والغلمان ، ويرد ذكر هؤلاء العبيد كثيرا عند النحاة ولا يقع عليهم الضرب والقتل فحسب وانما يقع عليهم الوطء كذلك،فقد

---

(٦) ابن الانباري ـ الانصاف في مسائل الخلاف (القاهرة ١٩٦١) ، ١١١/١ .

(٧) ابن هشام ـ مغني اللبيب ـ القاهرة ـ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ٥٠/١ .

(٨) سيبويه ـ الكتاب ـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة ١٩٦٦) ٥٠/١ .

برزت ألفاظ « عبد ، غلام ، وصيف ، جارية ، عبد املك ، عبـــد زينب .. الخ » بمختلف الاهانات [٩] .

ومن الافعال الثلاثية الاخرى الكثيرة الاستعمال « جلس ، ذهب ، سمع ، مكث ، قال .. الخ » اما من الأفعال غير الثلاثية فاكثر ما استعمل النحاة الفعل « انطلق » وكذلك مشتقاته خاصة « منطلق » ، والظاهر أن هذا الفعل كثير الاستعمال عند العرب في حياتهم اليومية .

اما في استعمال النحاة للحروف فلا تبرز اية ميزة واضحة لهـــذا الاستعمال ، فقد استعملت الحروف جميعها بقدر ما يتطلبه الموضـــوع وتحتاج اليه الجملة .

أن أغلب ما ورد في الامثلة النحوية يكاد يكون في جملته صـــورة قريبة للحياة التي كان يحياها الناس وهذا الاخذ القريب سهل على الاقدمين فهم المثل النحوي وبالتالي فهم القاعدة النحوية ، ونتناول الآن بعض هـذه الصور التي انعكست في امثلتهم .

فمن الحيوانات التي ألفوها وردت « فرس ، بعير ، شاة ، حمار ، ثور » ومن الحيوانات التي خافوها وردت « أسد ، ضبع ، ذئب » وقـد ورد « الأسد » كثيرا في « التحذير » واضاف خلف الاحمر « الحية »[١٠] ووردت بعض اسماء الطيور « صقر ، بازي » .

ومن المأكولات التي تناولوها ورد « التمر ، الزبد ، العسل ، السمن ، البر ، ومن المشروبات الماء واللبن . و « الطعام والطبيخ » عنـــد خلف الاحمر[١١] كثير الاستعمال والظاهر ان الرجل كان اكولا مبطاناً ..

ومن اخلاقهم برزت ألفاظ « الخير ، الكرم ، الحلم ، النبل ، الشرف ،

---

(٩) المصدر نفسه ١/٥١ .

(١٠) مقدمة في النحو ـ تحقيق عزالدين التنوخي (دمشق ١٩٦١) ص٨٢ .

(١١) المصدر نفسه ص ٦٧ .

الشجاعة ، وفي امثلة النحاة الكثير من الحث على هذه الصفات العربية الاصيلة وطلب التحلي بها في نحو « امرتك الخير »[١٢] كما أن فيها الكف عن اتيان ما ينافي اخلاقهم . ولاتخلو الامثلة مما هو عكس ذلك فقد ورد : « سرقت عبدالله الثوب الليلة »[١٣] ويبرز الظلم كثيرا في امثلة المبرد منها « ظننت ارك انك تظلم الناس »[١٤] .

وحالة العرب المعاشية بما فيها من بؤس وعدم واضحة في امثلةالنحاة « فالثوب » و « النعل » يذكر كثيرا مما يدل على ان اكثر الناس كانوا يفتقرون اليهما او الى تجديدهما بعد ان يكون الثوب قد خلق ورثي والنعل قد صار صاحبها الى حفاء .

اما الروح الدينية فبارزة تماما في امثلة النحاة فمع اهتمامهم الكبير بالاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية وردت ألفاظ « الله ، مكة، الكعبة ، الصوم ، الحج ، الراكع ، الساجد ، مسجد . المسلم.مسلمون.. الخ » كثيرا . كما أن « يوم الجمعة » يرد اكثر من غيره من الايام[١٥]، والظاهر أنهم كانوا يجعلون من هذا اليوم عطلة لهم ففي المثل « أيوم الجمعة ينطلق فيه ؟ »[١٦] يظهر التعجب واضحا من ان يوم الجمعة غير صالح للانطلاق ، وربما كان يخصص للعبادة مثلا .. ومن الاشهرالدينية التي وردت « رمضان ، ربيع الاول » .

وفي مجالات اخرى من حياتهم وردت قفيز ومَنوان[١٧] في المكاييل وفرسخ وميل في المقاييس ، ودرهم[١٨] ودينار في عملاتهم .

---

(١٢) سيبويه ١/٣٨ .
(١٣) المصدر نفسه ص ٤١ .
(١٤) كتاب المقتضب ٢/٣٥٠ .
(١٥) ورد من الايام الاخرى السبت والخميس ليس غير .
(١٦) سيبويه ١/١٠٤ ، انظر المقتضب ٢/٣٥٤ .
(١٧) قفيز يساوي قدر ثمانية واربعين قدحا ، والمنا يساوي رطلين .
(١٨) المثل الذي اورده ان يعيش في المفصل (٢/١٠٦) « كل شاة وسخلتها بدرهم » يبين لنا القوة الشرائية للدرهم انذاك .

أما في الطبيعة فالامثلة تكاد تكون نادرة للسبب الذي ذكرناه آنفاً من أن النحوي كان يتجنب ظاهرة الخيال في امثلته حرصاً على عدم شرود ذهن الدارس ، ومع هذا التجنب فهو لا يتورع عن المبالغة في هذا المجال ، فهو يقول « حملت الجبل وشربت ماء البحر »[١٩] .

والامثلة النحوية قد لا تعني شيئاً أحياناً وانما هي من قبيل الفرض وعلى زنة من التصريف لا معنى لها ، ويكون ذلك حين يعجز النحوي ان يأتي بمثل من الواقع ، وهو في هذا يغرق في الغرابة والفرض ، يقول مثلا في منع الاسم من الصرف اذا كان علما وهو على وزن يخص الفعل : (فلو سميت رجلا بضُرب او كلَّم منعته من الصرف فتقول « هذا ضُربُ او كَلَّمُ ، ورأيت ضُربَ او كلَّمَ ومررت بضربَ او كلَّمَ »[٢٠] . وهم يضربون لما حُكي من الجمل « زيد منطلق » أو « الرجل منطلقٌ »[٢١] فتنادى فيمن اسمه « الرجل منطلق » : يا الرجل منطلق اقبلْ »[٢١] وهكذا .

---

(١٩) سيبويه ١/٢٦ ، وهو يشير الى أن هذا من الكذب .

(٢٠) ابن عقيل – شرح ابن عقيل (القاهرة ١٩٦٥) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ٢/٢٦٠–١ .

(٢١) المصدر نفسه ٢/٢٠٨ .